قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (4)، فبراير، شباط 2020م. ص211-177
© 2020 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

البيان القويم في هدايات قوله تعالى اهدِنا الصِّراط المُستَقِيم

د. عيسى بن محمد بن عيسى المسملي[1]

(Elaborated Clarification of the Quranic Guidance in Guide Us to the Straight Path)

Dr. Isa bin Muhammad bin Muhammad Bin Isa Al-Masmali

ABSTRACT

This study discusses the significance and benefits that Muslims get/obtain when repeting this verse (اهدنا الصراط المستقيم) literally translated to "Guide us to the straight path" (1 :6). Asking Allah (SWT) for guidance requires one to know the straightforward path by doing good deeds, being patient and sincere in following Allah's guidance that is only given to those who depend on Him and those who work hard for *it*. Islamic guidance is the straightforward path of prophets, martyrs and good people. Wrongdoing is, however, an evil path of those whom Allah has evoked [His] anger on and those who are astray. There are three types/degrees of guidance. The first type is about those who know about guidance and follow it. The second type is about those who know about guidance but do not follow it. The third type is about those who completely and intentionally ignore guidance.

Keywords: *Commentary (Interpretation), Guidance, Prophets, Straightforward, Wrongdoing*

1 جامعة أم القرى، مكة المكرمة، عضو هيئة التدريس بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين

ملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد. فيردد المسلم في أعظم مواقفه بين يدي ربه في صلاته هذا الدعاء العظيم { اهدنا الصراط المستقيم} فكان هذا البحث للوقوف على فوائدها ودلائلها ومن ذلك : طلب الهداية من الله يتضمن طلب معرفة الحق ولزومه والعمل به والانقياد له والثبات عليه ثم الهداية للحق والصواب في كل قول وفعل مصدر الهداية هو الله وحده يمنحها الله من بذل أسبابها، وأما من أخذ بأسباب الضلالة والغواية فهي مصيره. الهداية هي صراط الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين كما أن الغواية هي طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين الناس بالنسبة للهداية أقسام ثلاثة، فمنهم من علمها وعمل بمقضاها، ومنهم من علمها وأعرض عن العمل بها، ومن من جهلها وأعرض عن تعلمها.

كلمات دالَّة: البيان ، الهداية، الأنبياء، الصراط المستقيم، الضلال.

1. مقدمة

الحمد لله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وهدى من شاء من عباده نهجه القويم وصراطه المستقيم، والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى هادياً صراطه المستقيم، وجعل هديه وسنته هي المنهج القويم، وعلى آله وأزواجه أمهات المؤمنين

أما بعد...

فيقول الله تعالى: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) هذه الآية الكريمة في سورة الفاتحة أعظم سور القران الذي هو أعظم كتب الله المنزلة، كما قال عليه الصلاة والسلام لأبي سعيد بن المعلى: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن... الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته".[2]

2 أخرجه البخاري (4474)، (3703)، (5006)

وسماها الله تعالى في الحديث القدسي **"صلاة"** لأنها من أعظم أركانها أو أعظمها فقال ﷺ: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب".[3]

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين)، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرَّحْمنِ الرَّحِيم)، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّين)، قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوّض إليّ عبدي ، فإذا قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين)، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم*صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين)، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"[4]

قال ابن القيم ♦: " فما الظن بفاتحة الكتاب التي لم ينزل في القرآن ولا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها".[5]

وأشار ♦ إلى أن الهداية التي هي دعاء هذه السورة العظيمة (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) هي أصل سعادة الدارين، فقال ♦: "ومن ساعده التوفيق ، وأعين بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة وما اشتملت عليه من التوحيد، ومعرفة الذات، والأسماء والصفات، والأفعال، وإثبات الشرع والقدر والمعاد، وتجريد توحيد الربوبية والإلهية، وكمال التوكل والتفويض إلى من له الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، والافتقار إليه في طلب الهداية التي هي أصل سعادة الدارين، وعَلم ارتباط معانيها بجلب مصالحهما، ودفع مفاسدهما، وأن العاقبة المطلقة التامة، والنعمة الكاملة منوطة بها، موقوفة على التحقق بها، أغنته عن كثير من الأدوية والرقى، واستفتح بها من الخير أبوابه، ودفع بها من الشر أسبابه"[6].

ولأجل أن هذه الآية الكريمة (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) أصل كل هداية وأساسها، وإليها مرجع نصوص الهدايات ومردها، فقد وقع اختياري مستعيناً بالله تعالى لإبراز ما استطعت من فوائدها وقواعدها وهداياتها مستنداً في جل ذلك – بل في كله – على ما

---

3 أخرجه البخاري من حديث عبادة بن الصامت (756) وكذا مسلم (394)

4 أخرجه مسلم (395)

5 زاد المعاد (318/4)

6 زاد المعاد (4/ 163)

وقفت عليه من إفادات واستنباطات لأئمة التفسير وعلماء الأمة، ولهذا فقد أكثرت النقل عنهم والتعويل عليهم، جامعاً لما تفرق في بطون كتبهم، وثنايا دواوينهم.

وقد دعتني ضرورة بيان هذه الآية إلى استكمال الحديث عما بعدها إلى نهاية السورة لما تتضمنه من إبانة عن الصراط المستقيم، وبيانه بالإشارة إلى سالكيه والتحذير من سبيل مخالفي (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين).

وقد جعلت كل معنى في مبحث خاص، وقد أقسم المبحث الواحد إلى عناوين جانبيه لفوائد يقتضيها المقام.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث نافعاً مباركاً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

2. المبحث الأول: الهداية معناها وأنواعها

قال ابن فارس: (هدى) الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان، أحدهما: للإرشاد، والأخر: بعثة لطف.

فالأول: قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده... فيقال: الهدى خلاف الضلالة.

والأصل الآخر: ما أهديت من لطف إلى ذي مودة، يقال: أهديت إهداءً." ا.هـ.[7]

وعامة ما وقفت عليه من كلام المفسرين فيه البناء على الأصل الأول من الهداية، سوى ما نحا إليه الطاهر ابن عاشور فقال: الهداية: الدلالة بلطف.[8]

أنواع الهداية:

وردت الهداية في القران الكريم على أنواع أربعة:

الأولى: هداية كل نفس إلى مصالح معيشتها وما يقيمها، وهذه أعم مراتبها.

---

7 مقاييس اللغة (هدي) (42/6)

8 التحرير والتنوير (199/1)

ومما جاء بهذا المعنى قوله تعالى: (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَى* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [طه:-5049]

فإعطاء الخلق ؛ إيجاده في الخارج، والهداية، التعليم والدلالة على سبب بقائه وما يحفظه ويقيمه.[9]

قال ابن القيم ♦: " أعطاه من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خلق له، ثم هداه لما خلق له، وهداه لما يصلحه في معيشته ومطعمه ومشربه وتقلبه وتصرفه، هذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين".[10]

الثانية: هداية الدعوة والبيان والدلالة والإرشاد.

الثالثة: هداية الإلهام والتوفيق للحق قبولاً وانقياداً، اعتقاداً وقولاً وعملاً.

فقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: " (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي) [فهي هذه الثانية.

وقال له في موضع اخر: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي) [القصص:56] وهي الثالثة التي لا تكون إلا لله تعالى، كما قال سبحانه: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) [النحل:36]

وقال سبحانه: (مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ) [الأعراف:186]

وقد جمع الله ذكر الهدايتين في موضع واحد فقال سبحانه: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) [فصلت:17]

فالأول: هدى البيان والدلالة، والثاني: هدى التوفيق والإلهام.[11]

وأما هداية الدعوة والدلالة والإرشاد فتكون من الأنبياء والعلماء وكل من دعا على بصيرة إلى هدى.

قال الحافظ ابن جرير ♦ في قوله تعالى: (وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين) [التوبة:19] : "قد عُلم بذلك أنه لم يعنِ أن لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه، وكيف يجوز أن

9 شفاء العليل (65/ 66)

10 شفاء العليل (78)

11 مدارج السالكين (66/1)

يكون ذلك معناه، وقد عم بالبيان جميع المكلفين من خلقه؟ ولكنه عنى جل وعز أنه لا يوفقهم ولا يشرح للحق والإيمان صدورهم".[12]

وقال ابن القيم ♦: قال تعالى: "(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّاب) [غافر:28] وقال: (وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين) [التوبة:19] ، ومعلوم أنه لم ينفِ هدى البيان والدلالة الذي يقوم به الحجة، فإنه حجته على عباده... فإنه سبحانه يخبر أنه قسم هدايته للعبد قسمين، قسماً لا يقدر عليه غيره، وقسماً مقدور للعباد، فقال في القسم المقدور للعبد: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [الشورى:52]، وقال في غير المقدور للعبد: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) [القصص:56]، وقال (مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ) [الأعراف:186] ".[13]

الرابعة: الهداية في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار، وهي كالنتيجة للهدايتين الثانية والثالثة قبولاً أو رفضاً.

قال تعالى: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُون* مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيم) [الصافات:22-23]

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم* وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُم) [محمد:4-5]

حيث قال سبحانه" سيهديهم" بعد قوله: "والذين قتلوا في سبيل الله" أي سيهديهم إلى طريق الجنة ويصلح حالهم في الآخرة، وهذا على وجه في تفسير الآية الكريمة.[14]

ومثله قوله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ) [الأعراف:43]

قال ابن جرير ♦ في تفسيرها: "الحمد الله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله وصرف عنا عذابه.."[15]

---

12 جامع البيان (167/1)

13 شفاء العليل (83-82)

14 شفاء العليل (85-84)

15 جامع البيان (200/10)

وعلى ما تقدم فإن توجه العبد إلى ربه بهذا الدعاء العظيم" (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) يتضمن الطلب من الله أن يشرح صدره للنظر في آيات الله الكونية والقرآنية، كما تتضمن التضرع إلى الله بأن يقذف الهدى في قلبه فيقبل عن الله تعالى ما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام مسلماً مؤمناً منقاداً لما جاء عن الله ورسوله ﷺ على سبيل الإجمال وعلى سبيل التفصيل فيطلب هداية الله في كل قول وفعل وترك وإعطاء وأخذ ومنع كما يتضمن ذلك الهداية بالثبات ولزوم الحق حتى يلقى ربه عز وجل.[16]

قال ابن القيم ♦: "فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر".

وكان قد قال قبل ذلك: " فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هدي هناك إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى جنته، ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط... ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيد) [فصلت:46] فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر.[17]

3. المبحث الثاني: مصدر الهداية

الهداية بمفهومها المطلق لا يملكها ولا يمنحها إلا الله وحده لا شريك له، جاء هذا المعنى صريحاً بيناً في الكتاب والسنة قال الله تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم"[18] وعليه فلا تطلب الهداية إلا منه سبحانه وتعالى فإنه لا يقدر عليها سواه.

16 سيأتي مبحث عن وجه سؤال الهداية من المهتدي.

17 مدارج السالكين (10/1)

18 أخرجه مسلم من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن ربه تبارك وتعالى (6664).

قال ابن القيم ♦: "قوله (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) تضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها وهي بيده إن شاء أعطاها عبده، وإن شاء منعه إياها، والهداية: معرفة الحق والعمل به فمن لم يجعله الله تعالى عالماً بالحق عاملاً به، لم يكن له سبيل إلى الاهتداء، فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة مؤثراً له، عاملاً به، فهذه الهداية ليست إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل وهي التي قال سبحانه فيها: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء) [القصص:56] "[19]

قال سبحانه: (فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء) [الأنعام:125]، وقال سبحانه عن أهل الجنة: (وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ) [الأعراف:43].[20]

قال ابن جرير ♦ في قوله تعالى:(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ): " في هذه الآية دليل واضح على أن طاعة الله جل ثناؤه لا ينالها المطيعون إلا بإنعام الله بها عليهم، وتوفيقه إياهم لها، أولا يسمعونه يقول:(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ): فأضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة إلى أنه إنعام منه عليهم".[21]

وبهذا يتبين أن سؤال العبد ربه وتضرعه إليه (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) هو سؤال ما فيه سعادته وفلاحه ونجاحه ونجاته في الدارين، وهو توجه وتضرع وسؤال لمن لا يملك الهداية إلا هو سبحانه وتعالى.

وقد جعل الله تعالى كتابه سببا هادياً إلى صراطه، كما جعل رسوله ﷺ هادياً إلى صراطه أيضاً، فقال سبحانه: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين* يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ

19 شفاء العليل (53).

20 شفاء العليل (80 وما بعدها).

21 جامع البيان (178/1)

اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [المائدة:15-16]

وقال سبحانه لرسوله ﷺ: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) [الشورى:52-53] وإنما يكون كل ذلك بمحض فضل الله تعالى وكرمه

4. المبحث الثالث: أسباب الهداية والضلالة

تقدم آنفاً أنه لا يملك التوفيق للهداية إلا الله تعالى وأنه قد قال سبحانه في الحديث: "يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته" وهذا -كما تقدم - بيّن صريح واضح أنه لا يملك منح الهداية غيره سبحانه، غير أن قوله سبحانه في تمام هذه الجملة: "فاستهدوني أهدكم" دليل على أن للهداية أسباباً ، من سلكها هداه الله، فقوله: "فاستهدوني" أي اطلبوا الهداية بسلوك أسبابها، ويدل لهذا المعنى: قوله سبحانه: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُم) [محمد:17] وقوله تعالى: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) [مريم:76] وقوله تعالى: (الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين) [البقرة:1-2] فجعله هدى للمتقين.

قال ابن القيم ♦ : "وهذا يتضمن...أن للعبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً وقبل أوامره، وصدّق بأخباره، كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له على التفصيل، فإن الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد ما بلغ، ففوق هدايته هداية أخرى، وفوق تلك الهداية أخرى إلى غير غاية، فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى، وكلما فوّت حظاً من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه، فكلما اتقى زاد هداه، وكلما اهتدى زادت تقواه، قال تعالى:(قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين* يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [المائدة:15-16] وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) [يونس:9] فهداهم أولاً للإيمان ، فلما آمنوا هداهم للإيمان هداية بعد هداية، ونظير

هذا قوله تعالى: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) [مريم:76]، وقوله تعالى: (يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) [الأنفال:29]

ومن الفرقان ما يعطيهم من النور الذي يفرقون به بين الحق والباطل، والنصر والعز الذي يتمكنون به من إقامة الحق وكسر الباطل...".[22]

ومن أعظم أسباب تحصيل السعادة: الدعاء، فهو من حيث إنه فعل للعبد يتوجه به إلى الله سبب لتحصيلها، ولهذا فرض الله على كل مصل أن يتوجه بهذا الدعاء في كل صلاة (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم).

ومن أسباب تحصيل الهداية: مكارم الأخلاق وأعمال البر كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ بعد أن نزل عليه القران الكريم أول مرة " فرجع رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، قال لخديجة: أي خديجة لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر. قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ...".[23]

"واستدلت بمعرفتها بالله وحكمته ورحمته على أن من كان كذلك فإن الله لا يخزيه ولا يفضحه، بل هو جدير بكرامة الله واصطفائه ومحبته وتوفيقه".[24]

ومن أعظم أسباب تحصيل الهداية مجاهدة النفس وهواها والشيطان ووساوسه مع توجه القلب إلى الله والإخلاص له، قال سبحانه: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت:69].

---

22 الفوائد (130)

23 أخرجه البخاري (3) ومسلم (322) من حديث عائشة رضي الله عنها.

24 مفتاح دار السعادة (13/2)

وبضد ذلك فإن للضلالة والغواية أسباباً من سلكها ضل وغوى ، وحرم التوفيق والهدى ، وبحسب نصيبه من أسباب الضلالة يكون وقوعه فيها والحرمان من الهداية.

فمن ذلك: الفجور، والكبر، والكذب، فذلك يقتضي الضلال، كما قال سبحانه: (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِين* الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون) [البقرة:26-27]

وقال تعالى: (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء) [إبراهيم:27]، وقال تعالى: (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُون) [البقرة:88]، وقال تعالى(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الأنعام:110]، وقال تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين) [الصف:5] ، وقال تعالى:(كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون) [المطففين:14]، فأخبر سبحانه أن كسبهم غطى على قلوبهم وحال بينها وبين الإيمان بآياته، وقال تعالى في المنافقين: (نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُون) [التوبة:67] فجازاهم على نسيانهم له أن نسيهم فلم يذكرهم بالهدى والرحمة، وأخبر أنه أنساهم أنفسهم، فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح وهما بالهدى ودين الحق، فأنساهم طلب ذلك عقوبة لنسيانهم له .."[25]

وقال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقا* إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا) [النساء:168-169]

" فنفي هدايتهم ... إنذار بأن الكفر والظلم من شأنهما أن يخيّما على القلب بغشاوة تمنعه من وصول الهدى إليه".[26]

25 انظر: الفوائد (131)، وشفاء العليل (82)، ومدارج السالكين (320/1)

26 التحرير والتنوير (48/6-47)

5. المبحث الرابع: معنى الصراط المستقيم والمراد به

قال ابن جرير الطبري ♦: "أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن "الصراط المستقيم" هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

قال ابن جرير ♦: "ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه".[27]

وقد ورد الصراط في كتاب الله تعالى بغير وصف الاستقامة كما في قوله تعالى عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه:(وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) [الأعراف:86]

وقال ابن رجب ♦: " إنما سمي الصراط صراطاً؛ لأنه طريق واسع سهل، يوصل إلى المقصود ... وبقية الطرق وإن كانت كثيرة فإنها كلها مع ضيقها وعسرها لا توصل إلى الله، بل تقطع عنه وتوصل إلى دار سخطه وغضبه، ومجاورة أعدائه، ولهذا قال: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِين) [آل عمران:85]".[28]

وبسط ابن القيم ♦ هذه الأوصاف فقال: لا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور:

الاستقامة.

الإيصال إلى المقصود.

القرب.

---

27 جامع البيان (1/171-170)

28 تفسير ابن رجب (1/ 76)

سعته للمارين عليه.

تعيينه طريقاً للمقصود.

ثم قال: "ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة، فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه، لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج طال وبعد، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته، وإضافته إلى المنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعينه طريقاً".[29]

هذا معنى الصراط المستقيم فما المقصود به؟ وما المراد بالصراط المستقيم؟

تنوعت عبارات المفسرين ومردها إلى أمر واحد.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "الصراط المستقيم: كتاب الله"[30]

ويشهد لهذا المعنى الحديث الوارد عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتاب الله، فيه خبر من قبلكم، ونبأ من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم..."[31]

وقيل: "الصراط المستقيم هو الإسلام" روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.[32]

وعن ابن عباس رضي الله عنه: "هو دين الله الذي لا عوج فيه"[33].

ويستشهد لهذا المعنى بقوله تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا) [الأنعام:161] ..."[34]

---

29 مدارج السالكين (1/ 34-33)

30 جامع البيان (173/1)، تفسير ابن كثير (138/1)

31 روي مرفوعاً وموقوفاً، قال ابن كثير: روي موقوفاً عن علي وهو أشبه" تفسير ابن كثير (148/1)

32 جامع البيان 173/1

33 جامع البيان 173/1، تفسير ابن كثير (138/1)

34 التحرير والتنوير (172/8)

وقال الإمام السعدي ♦: "هو معرفة الحق والعمل به"[35].

ويشهد لهذا المعنى أيضاً حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيها أبواب مفتحة، وعل الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الناس أن تفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك، لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم".[36]

وعن مجاهد قال: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم): الحق، قال ابن كثير: وهذا أشمل، ولا منافاة بينه وبين ما تقدم".[37]

وعن أبي العالية: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) قال: هو النبي ﷺ وصاحباه ومن بعده" وذكر هذا للحسن فقال: صدق أبو العالية ونصح".[38]

قال ابن جرير ♦: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) أن يكون معنياً به: وفِّقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم، لأن من وُفّق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب،

35 تيسير الكريم الرحمن (39)

36 تفسير ابن كثير 138/1، قال ابن كثير: وهو اسناد صحيح

37 تفسير ابن كثير (137/1)

38 تفسير اين كثير (139/1)

والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجر عنه، واتباع منهج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبد لله صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم"[39].

وقال ابن كثير ♦: "وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى بالذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً ولله الحمد"[40]

وقال أيضاً: "اختلفت عبارات المفسرين والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول ﷺ ".[41]

قال الطاهر ابن عاشور ♦: "وإنما يلتئم كون المسؤول طريق المنعم عليهم فيما مضى، وكونه هو دين الإسلام الذي جاء من بعد، باعتبار أن الصراط المستقيم جارٍ على سنن الشرائع الحقة في أصول الديانة وفروع الهداية والتقوى، فسألوا ديناً قويماً يكون في استقامته كصراط المنعم عليهم، فأجيبوا بدين الإسلام، وقد جمع استقامة الأديان الماضية وزاد عليها ... فالمقصد الهداية إلى صراط كامل، ويكون هذا الدعاء محمولاً في كل زمان على ما يناسب طرق الهداية التي سبقت زمانه والتي لم يبلغ إلى نهايتها".[42]

وقال أيضاً: "المراد بالصراط المستقيم ... وسيلة الخير، وما يوصل إليه كما في قوله تعالى: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) فيشمل ذلك كل هدي إلى الخير ...".[43]

---

39 جامع البيان (171/1)، وانظر: فتح القدير (42/1)

40 المصدر السابق.

41 تفسير ابن كثير (137/1)

42 التحرير والتنوير (1/ 194)

43 التحرير والتنوير (13/2)

وقد ذكر الصراط في كتاب الله تعالى في نحو من خمسة وأربعين موضعاً، وذكر مقروناً بالهداية في نحو خمسة عشر موضعاً، بعضها عديت الهداية فيها بـ "إلى"، وبعضها بنفسها، وقد تعدى الهداية باللام، لكن لم أر ذلك مع ذكر الصراط.

فمن الأول الذي عديت فيه الهداية بـ "إلى" قوله تعالى: (يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [البقرة:142] في ثلاثة مواضع.[44]

وقوله سبحانه: (وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [يونس:25]، وقوله تعالى: (وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [آل عمران:101]، وقوله تعالى: (وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [المائدة:16]

وقوله سبحانه (وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [الأنعام:87]، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا) [الأنعام:161]، وقال سبحانه عن خليله إبراهيم عليه السلام: (اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [النحل:121]، وقال سبحانه: (وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [الحج:54]

ومن الثاني الذي عدي فيه فعل "هدى" بنفسه قوله تعالى: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) [الفاتحة:6]

وقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا* وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) [النساء:66-68]

وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام مخاطباً أباه: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) [مريم:43]

وقوله تعالى عن موسى وهارون: (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم) [الصافات:118]

44 سورة البقرة (142) و (213) والنور (46)

وقوله سبحانه وتعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) [الفتح:1-2]

وقد تعدى الهداية باللام كقوله تعالى عن أهل الجنة: (وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون) [الأعراف:43]

قال الزمخشري ♦: "هدى" أصله أن يتعدى باللام أو بـ "إلى"، كقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء:9]".[45]

فحيث عديت الهداية بـ "إلى" كما في قوله تعالى: (وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [يونس:25]، وكان معناها حينئذ: الدلالة والإرشاد، ولهذا قال عن النبي ﷺ: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [الشورى:52].

وأما تعدية الهداية بنفسها كقوله تعالى: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) [الفاتحة:6] فيكون معناها حينئذ: ألهمنا، أو وفقنا، وارزقنا، أو اعطنا".[46]

قال ابن القيم ♦: "أمر سبحانه عباده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس، وذلك تضمين الهداية إلى الصراط، والهداية فيه، كما أن الضلال نوعان، ضلال عن الصراط فلا يهتدى إليه، وضلال فيه، فالأول: ضلال عن معرفته، والثاني: ضلال عن تفاصيله أو بعضها...".[47]

45 الكشاف (15/1)

46 تفسير ابن كثير (137/1)

47 شفاء العليل (81)

6. المبحث الخامس: فوائد في الصراط

إضافة الصراط:

الصراط تارة يضاف إلى الله كقوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) [الأنعام:153]،وكقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم* صِرَاطِ اللَّهِ) [الشورى:52-53] فأضيف الصراط إلى الله؛ لإنه هو الذي شرعه، ونصبه لعباده، وقد يضاف الصراط إلى العباد كقوله تعالى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) [الفاتحة:7] فإضافته إليهم لكونهم الذين يسلكونه.[48]

صراط الهداية واحد وسبل الضلال متعددة:

وحّد الله تعالى الصراط في جميع المواضع ولم يذكره بصيغة الجمع أبداً، وذكر في مقابله سبل الضلالة على صيغة الجمع، كما قال سبحانه: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) [الأنعام:153] ، فانظر كيف ذكر "السبل" في مقابل سبيله وصراطه الواحد، وذلك لأن طريق الحق أصله شيء واحد وهو دين الإسلام ... وهو توحيد الله وطاعته، وطرق الضلالة كثيرة متنوعة..."[49]

ويتضح هذا المعنى بمثلين ضربهما النبي ﷺ، نذكرهما فيما يلي:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتعرجوا، وداعٍ يدعو من

48 انظر: مدارج السالكين (1/ 34)

49 انظر: تفسير ابن رجب (80/1)

فوق الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه.

والصراط؛ الإسلام، والسوران ؛ حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة؛ محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط ؛كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط، واعظ الله في قلب كل مسلم"

وفي رواية: "وداعٍ يدعو على رأس الصراط، وداعٍ من فوقه " والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم" ...[50]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) [الأنعام:153] وفي رواية: "هذه سبل متفرقة".[51]

---

50 أخرجه الترمذي (2859) وأحمد (17636) وابن أبي عاصم في السنة (18) ومحمد بن نصر المروزي في السنة (18) كلهم من طريق خالد بن معدان.
وأخرجه النسائي في الكبرى (11169) وأحمد (17634) وابن أبي عاصم في الستة (19) ومحمد بن نصر المروزي في السنة (16) و (17) والحاكم (245) والبيهقي في شعب الإيمان (6821) كلهم من طريق عبد الرحمن بن جبير.
كلاهما (خالد بن معدان، وعبد الرحمن بن جبير، عن جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان به)
قال الترمذي: "حسن غريب"، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه" وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (3887)

51 هذا الحديث رواه حماد بن زيد، عن عاصم ابن بهدلة، عن أبي وائل شقيق بن سلمه، عن ابن مسعود رضي الله عنه.
أخرجه أحمد في المسند (4142) والدارمي (208) وأبو داود الطيالسي (214) والبزار (1718) والنسائي في الكبرى (1174) والهيثم بن كليب الشاشي في مسنده (535)و (536)و (537) ومحمد بن نصر المروزي في السنة (1865) وابن حبان في صحيحه (6) (7) والآجري في الشريعة (12) والحاكم (3241) واللالكائي في

قال ابن القيم ♦ بعد ذكره لهذا الحديث: وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله وموصل إلى الله[52].

7. المبحث السادس: بيان للصراط

لما كانت الهداية إلى الصراط المستقيم يترتب عليها السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة جاء بيان الصراط مؤكداً مكرراً بأوجه متعددة نذكرها فيما يلي:

من حيث اسمه ووصفه: فهذا الاسم "صراط" وهو اسم عربي عند عامة أهل اللغة[53] يدل على الاستقامة وعدم التعرج، وعلى أنه يوصل للمقصود ولا عوج فيه، ومع ذلك فقد أكد هذا المعنى بوصفه "المستقيم" وفي هذا الوصف تأكيد صريح لتلك الدلالات والمعاني التي تستفاد من اسمه "الصراط" وقد تقدم قول ابن القيم: لا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور. ثم ذكرها[54].

السنة (92-94) كلهم من طريق حماد بن زيد، عن عاصم ابن بهدلة، عن أبي وائل، قال البزار: " وقد رواه غير واحد عن أبي وائل"، وأخرجه البزار (1677) كذلك من طريق منصور، وفي (1694) من طريق الأعمش (ولم يصرح برفعه) كلاهما عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه،وقال البزار أيضاً: "قد روي عن عبد الله من غير وجه نحوه أو قريباً منه"، وقد أخرجه البزار (1865) من طريق الربيع بن خيثم، والحاكم (2938) من طريق زر، وهو ابن حبيش الأسدي، كلاهما عن ابن مسعود نحوه.

قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"

وقال الألباني: " حسن صحيح" كذا في تعليقه على صحيح ابن حبان.

52 مدارج السالكين (38/1)

53 انظر التحرير والتنوير (190/1)

54 تقدم ص11

والمستقيم: اسم فاعل استقام ... قومته فاستقام، والمستقيم الذي لا عوج فيه ... وأحسن الطرق الذي يكون مستقيماً، فلا يضل فيه سالكه، ولا يتردد ولا يتحير.[55]

من حيث تعريف الجزأين "الصراط المستقيم" فالتعريف فيهما تعريف العهد الذهني ... لأن الاستقامة لا تتعدد، كما قال تعالى: (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ) [يونس:32]... وإطلاق الصراط على دين الإسلام وارد في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا) [الأنعام:161].."[56]

بيان الصراط بذكر سالكيه:

حيث بينه سبحانه فقال: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) [الفاتحة:6] ثم قال سبحانه: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) [الفاتحة:7]، وهو بدل أو عطف بيان من الصراط المستقيم.

قال ابن جرير ♦: "وقوله: "صراط الذين أنعمت عليهم" إبانة عن الصراط المستقيم، أي الصراط هو، إذا كان كل طريق من طرق الحق صراطاً مستقيماً، فقيل لمحمد ﷺ: قل يا محمد: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك..."[57]

ونظير قوله تعالى في الفاتحة: (الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ)قوله في النساء: (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم)إلا أنه في النساء عيّن المقصود بالمنعم عليهم فقال سبحانه: (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء:69].[58]

قال ابن جرير ♦: "قل يا محمد: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين ... فالذي

55 التحرير والتنوير (191/1)
56 التحرير والتنوير 1/ 191
57 جامع البيان (1/ 176)
58 انظر تفسير ابن كثير (140/1)

أمر محمد ﷺ وأمته أن يسألوه ربهم من الهداية للصراط المستقيم هي الهداية للطريق الذي وصف الله جل ثناؤه صفته، وذلك الطريق هو الطريق الذي وصفهم الله بما وصفهم به في تنزيله"[59]

قال ابن كثير ♦: قوله: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) مفسر للصراط المستقيم، وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان.

وقال ابن كثير ♦ أيضاً: والمعنى: "اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم، وهم أهل الهداية والاستقامة، والطاعة لله ورسوله، وامتثال أوامره، وترك نواهيه وزواجره"[60].

وقال ابن رجب ♦: "سمى الذين أنعم عليهم في سورة النساء، وجعلهم أربعة أصناف: النبين والصديقين والشهداء والصالحين، فدل على أن هؤلاء كلهم على هذا الصراط المستقيم ... ومنذ بعث الله محمد ﷺ لم يقبل من أحد ديناً غير دينه وهو الإسلام الخاص، وجعل بقية الأديان كفراً، لما تضمن اتباعها من الكفر بدين محمد والمعصية لله في الأمر باتباعه"[61].

8. المبحث السابع: حكمة بيان الصراط بسالكيه

تقدم آنفاً أن الله تعالى لما ذكر الصراط بيّنه بأنه الصراط الذي سلكه من أنعم عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وفي ذلك حكمة جليلة وذلك أنه "لما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبين عنه، كما قال تعالى:(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِين) [يوسف:103] وكان هذا الداعي بالهداية لهذا الصراط مريداً لسلوك طريقة موافقه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد وعلى الأنس بالرفيق، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذا الطريق وأنهم هم الذين (أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

59 جامع البيان (1/ 177)
60 تفسير ابن كثير (1/ 140)
61 تفسير ابن رجب (1/78-77)

وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء:69] فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له وهم الذين أنعم الله عليهم ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدراً وإن كانوا الأكثرين عدداً، كما قال بعض السلف: عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين ... والقصد أن في ذكر هذا الرفيق ما يزيل وحشة التفرد ويحث على السير للحاق بهم[62].

وحكمة أخرى فإن دعاء المؤمنين (اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيم* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) [الفاتحة:6-7] يتضمن ذلك: التعريض بطلب أن يكونوا لاحقين في مرتبة الهدى بأولئك المنعم عليهم وتهمماً بالاقتداء بهم في لأخذ بالأسباب التي ارتقوا بها إلى تلك الدرجات، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الممتحنة:6] وتوطئة لما سيأتي بعد من التبري من أحوال المغضوب عليهم والضالين فتضمن ذلك تفاؤلاً وتعوذاً[63].

وتقدم أن قوله تعالى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ) بدل أو عطف بيان من (الصِّرَاطَ المستَقِيم) ومن فائدة ذلك: ما في أسلوب الإبدال من الإجمال المعقب بالتفصيل ليتمكن معنى الصراط للمطلوب[64] فضل تمكن في نفوس المؤمنين الذين لقنوا هذا الدعاء فيكون له من الفائدة مثل ما للتوكيد المعنوي[65].

62 انظر مدارج السالكين (1/46-45)

63 التحرير والتنوير (19/1)

64 كذا، ولعلها المطلوب.

65 التحرير والتنوير (1/ 192)

9. المبحث الثامن: بيان الصراط بذكر نقيضه

وذلك بقوله سبحانه: (غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين) [الفاتحة:7] قال ابن كثير ♦: "والمعنى "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ولرسله ... غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق"[66]

وذكر الحافظ ابن جرير ♦: المقصود بالمغضوب عليهم والضالين ثم قال: "فأعلمنا جل ذكره بمنه ما أحل بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه، ثم علمنا منة منه علينا وجه السبيل إلى النجاة من أن يحل بنا الذي حل بهم من المثلات، ورأفة منه بنا"[67].

وقال في التحرير والتنوير: ومن غرض وصف "الذين أنعمت عليهم" بأنهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين التعوذ مما عرض لأمم أنعم الله عليهم بالهداية إلى صراط الخير بحسب زمانهم بدعوة الرسل إلى الحق فتقلدوها ثم طرأ عليهم سوء الهم فيها فغيروها ... والتبرؤ من أن يكونوا مثلهم في بطر النعمة وسوء الامتثال وفساد التأويل وتغليب الشهوات الدنيوية على إقامة الدين حتى حق عليهم غضب الله تعالى، وهذا التبرؤ من حال الذين هدوا إلى صراط مستقيم فما صرفوا عنايتهم للحفاظ على السير فيه باستقامة فأصبحوا من الضالين بعد الهداية إذ أساءوا صفة العلم بالنعمة فانقلبت هدايتهم ضلالاً".[68]

---

66 تفسير ابن كثير (1/ 140)

67 جامع البيان (185/1)

68 التحرير والتنوير (1/ 196)

10. المبحث التاسع: غير المغضوب عليهم ولا الضالين

تقدم سابقاً أن علاقة هذه الآية بقوله تعالى: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) هي علاقة بيان بذكر الضد، وأن طريق المغضوب عليهم والضالين مغاير مباين لصراط المنعم عليهم من النبين وأتباعهم.

وقد ورد تفسير هذه الآية عن رسول الله ﷺ أعني بيان المراد بالمغضوب عليهم والضالين، فجاء عنه النبي ﷺ أنه قال: المغضوب عليهم اليهود، والنصارى هم الضالون[69].

قال ابن كثير ♦ بعد أن ذكر حديث عدي بن حاتم: "وقد روي حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها"[70]

وحكى غير واحد من المفسرين الاتفاق على هذا.

---

69 رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (179) عن سفيان وهو ابن عيينه، عن إسماعيل بن أبي خالد، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم فذكره.
وروىمن وجه آخر عن سفيان موصولاً: أخرجه الطبري في جامع البيان من طريق عبد الله بن جعفر، عن سفيان بن عيينه، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عدي ابن حاتم، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره. وهذا الموصول معلول فإنه في تفسير ابن عيينه مرسل كما أفاده السيوطي في الدر المنثور 24/1
وروي الحديث من وجه آخر عن عدي بن حاتم أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (40) و (41) ، وأخرجه أحمد 4/ 374 وابن حبان في صحيحه الموارد (1715) والترمذي (4029) و (4030)، كلهم من طريق سماك بن حرب، عن عباد بن حبيش، عن عدي بن حاتم، وعامتهم ذكر فيه قصة، قال الترمذي: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب، وشيخه عباد بن حبيش، قال عنه الذهبي في الميزان: (4112) لا يعرف.
وروى البخاري نحوه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال: اليهود، قلت الضالين قال: النصارى. أخرجه ابن مردويه وساق ابن كثير سنده في تفسيره 1/ 30 وقال ابن حجر في الفتح 159/8 : أخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر ا.هـ.
جميع ما تقدم مستفاد من تعليق الشيخ سعد آل حميد على سنن سعيد بن منصور (179) والحديث صححه أيضاً الألباني في السلسلة الصحيحة (3263) وانظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور 88/1
70 تفسير ابن كثير.

فروى ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده حديث عدي بن حاتم قال: قال: رسول الله عليه وسلم: "المغضوب عليهم اليهود، ولا الضالين: النصارى"، ثم قال ابن أبي حاتم: "ولا أعلم بين المفسرين فيل هذا الحرف اختلافاً"[71].

وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره: "وقد أجمع المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود، والضالين أراد به النصارى"[72]

وحكى الشوكاني ♦ كلام ابن كثير عن حديث عدي بن حاتم ثم قال: والمصير إلى هذا التفسير النبوي متعين، وهو الذي أطبق عليه أئمة التفسير من السلف، ثم نقل كلام ابن أي حاتم المذكور آنفاً[73].

11. المبحث العاشر: وقفات تأمل

ما وجه وصف اليهود بالمغضوب عليهم، ووصف النصارى بالضلال؟

وهل وصف اليهود بالغضب منحصر فيهم؟ ووصف النصارى بالضلال منحصر فيهم؟

وهل تفسير الآية بأن المقصود: اليهود والنصارى منحصر فيهما؟

أما الأول فقد قال ابن كثير: "وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون؛ الحديث المتقدم وقوله تعالى في خطابه مع بني اسرائيل في سورة البقرة: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِين) [البقرة:90]

وقال في المائدة: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ)

71 تفسير ابن أبي حاتم (31/1)

72 بحر العلوم 19/1

73 فتح القدير (1/ 25)

[المائدة:60]، وقال تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون) [المائدة:78]"[74].

قال ابن جرير ♦ في بيان معنى الضلال: "وكل حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضال عند العرب لإضلاله وجه الطريق، فلذلك سمى الله جل ذكره النصارى ضلالاً لخطئهم في الحق منهج السبيل، وأخذهم من الدين من غير الطريق المستقيم".

ثم قال ابن جرير: "فإن قال قائل أوليس ذلك أيضاً من صفة اليهود؟ قيل: بلى، فإن قيل: كيف خص النصارى بهذه الصفة، وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم؟ قيل: إن كلا الفريقين ضلال مغضوب عليهم، غير أن الله جل ثناؤه وسَم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفون به إذا ذكره لهم، أو أخبرهم عنه، ولم يسم واحداً من الفريقين إلا بما هو له من صفته على حقيقته، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليها."[75]

وقال ابن كثير ♦: "كل من اليهود والنصارى؛ ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال فيهم:"من لعنه الله وغضب عليه" ، وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال: " قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل" وبهذا جاءت الأحاديث والآثار"[76]

قال ابن القيم ♦: " المغضوب عليه ضال عن هداية العمل، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل، فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته أولى بوصف الغضب وأحق به، ومن هنا كان اليهود أحق به، وهو متغلظ في حقهم كقوله تعالى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِين)

74 تفسير ابن كثير (1/ 143)

75 جامع البيان (1/ 197)

76 تفسير ابن كثير (1/ 141)، وانظر نحوه في أضواء البيان (9/1)

[البقرة:90] والجاهل بالحق أحق باسم الضلال، ومن هنا وصفت النصارى به في قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) [المائدة:77] ، فالأولى في سياق الخطاب مع اليهود، والثانية في سياق الخطاب مع النصارى"[77].

فإن سأل سائل: وما فائدة تأكيد النفي بـ "لا" في قوله تعالى: "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" ولم يقل: غير المغضوب عليهم والضالين؟

أجاب عن هذا ابن كثير ♦ فقال: "وأكد الكلام بـ "لا" ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين، وهما طريقتا اليهود والنصارى جيء بها[78]. لتأكيد النفي ... وللفرق بين الطريقتين لتجتنب كلاً منهما، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب، خلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق؛ ضلوا"[79].

ومع اتفاق المفسرين على أن المقصود اليهود والنصارى فإن لفظ الآية الكريمة (غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين) يشمل كل طوائف الغضب والضلال، ولا ينحصر في طائفتي اليهود والنصارى.

قال الطاهر ابن عاشور ♦: " وليس يلزم اختصاص أول الوصفين باليهود والثاني بالنصارى، فإن في الأمم أمثالهم، وهذا الوجه في التفسير هو الذي يستقيم معه مقام الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم ... ويشمل المغضوبُ عليهم والضالون فرق الكفر والفسوق والعصيان، فالمغضوب عليهم جنس للفرق التي تعمدت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد،

77 مدارج السالكين (1/ 35-34)

78 أي: ب (لا).

79 تفسير ابن كثير (1/ 141)

أو عن تأويل بعيد جداً، والضالون جنس للفرق التي أخطأت الدين عن سوء فهم، وقلة إصغاء، وكلا الفريقين مذموم، لأننا مأمورون باتباع سبيل الحق وصرف الجهد إلى إصابته، واليهود من الفريق الأول والنصارى من الفريق الثاني ...."

وقال أيضاً: " والمراد من المغضوب عليهم والضالين، جنسا فرق الكفر، فالمغضوب عليهم؛ جنس للفرق التي تعمدت ذلك .... والضالون؛ جنس للفرق الذين حرفوا الديانات الحق عن عمد وعن سوء فهم، وكلا الفريقين مذموم معاقب"[80].

وقال بعض العلماء: " يدخل في هذا الوصف من شابه اليهود، فيكون مغضوباً عليه، ويدخل في الضلال من شابه النصارى ممن عبد الله على جهل "[81]

وهذا الشمول لكل من اتصف بذلك هو جانب من إعجاز القرآن الكريم، فإنه تعالى قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ليشمل كل من اتصف بذلك. وهذا لا يتحقق لو كان القول مثلاً " غير اليهود والنصارى"

فائدة:

انقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى ثلاثة أقسام في الجملة هي:

الأول: من علم الحق وعمل به.
الثاني: من علم الحق وتركه عن عمد وقصد.
الثالث: من جهل الحق وأعرض عن الوصول إليه.

80 التحرير والتنوير (1 / 196، 199)

81 التعليق على تفسير الجلالين للشيخ عبد الكريم الخضير (10/4)

" لأن العبد إما أن يكون عالماً بالحق، وإما جاهلاً به، والعالم بالحق إما أن يكون عاملاً بموجبه، أو مخالفاً له، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة، فالعالم بالحق العامل به هو المنعم عليه.... والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه، والجاهل بالحق هو الضال..."[82]

12. المبحث الحادي عشر: طلب المهتدي الهداية

فإن قيل: كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟[83]

فالجواب أن الهداية درجات ومنازل بعضها أعلى من بعض فالمؤمن المهتدي يسأل الله الهداية لمقامات أعلى (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى) [محمد:17]

وكذا المؤمن المهتدي يسأل الله تعالى الثبات على الهداية وهو أيضاً محتاج – إضافة لتحصيل أصل الهداية – إلى الهداية في كل قول وعمل وترك ظاهر وباطن.

وكل هذه المعاني داخل فيما يطلبه المهتدي من ربه (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) قال ابن جرير ♦: " ومعنى قوله: (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم) في هذا الموضع عندنا: وفقنا للثبات عليه.... نظير معنى قوله: " وإياك نستعين" في أنه مسألة العبد ربه التوفيق للثبات على العمل بطاعته، وإصابة الحق والصواب فيما أمره به ونهاه عنه، فيما يستقبل من عمره، دون ما قد مضى من أعماله وتقضى فيما سلف من عمره"[84].

ثم قال ابن جرير: " (اهدنا الصراط المستقيم)، .... وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم، لأن من وُفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء. فقد وفق للإسلام، وتصديق

82 مدارج السالكين (34/1)، وانظر تفسير ابن عثيمين (19/1)

83 ذكر هذا السؤال ابن كثير في تفسيره 139/1 ويأتي جواب عنه

84 جامع البيان (1/ 165، 166)

الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجره الله عنه، واتباع منهج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكل عبد لله صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم"[85]

وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"[86]

ونقل الحافظ ابن كثير قول ابن جرير ♦ ثم قال: "إن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله في كل قت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق .... وقد قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ) [النساء:136] فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك تحصيل الحاصل، لأن المراد: الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، وقال تعالى آمراً لعباده المؤمنين أن يقولوا: (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب) [آل عمران:8] وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سراً[87].

وقد أفاض ابن القيم ♦ في هذا المعنى فقال ♦:

" أمرنا سبحانه أن نسأله هداية الصراط المستقيم كل يوم وليلة في صلواتنا الخمس، فإن العبد محتاج إلى معرفة الحق الذي يرضي الله في كل حركة ظاهرة وباطنة، فإذا عرفها فهو محتاج إلى من يلهمه قصد الحق فيجعل إرادته في قلبه ثم إلى من يقدره على فعله، ومعلوم أن

85 جامع البيان (1/ 171)

86 روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة، منها من حديث أنس أخرجه الترمذي (2140) وأحمد (12107) وغيرهما، قال الترمذي: "وفي الباب عن نواس بن سمعان، وأم سلمة، وعبدالله بن عمر، وعائشة وأبي ذر، وهذا حديث حسن.

وصححه الألباني في صحيح الجامع (4801)و (7987) و (7988)

87 تفسير ابن كثير (139/1)

ما يجهله العبد أضعاف أضعاف ما يعلمهُ، وإن كل ما يعلم أنه حق لا تطاوعه نفسه على إرادته ولو أراده لعجز عن كثير مِنه فهو مضطر كل وقت إلى هداية تتعلق بالماضي وبالحال والمستقبل، أما الماضي فهو محتاج إلى محاسبة نفسه عليه وهل وقع على السداد فيشكر الله عليه ويستديمه إن خرج فيه عن الحق فيتوب إلى الله تعالى منه ويستغفره ويعزم على أن لا يعود، وأما الهداية في الحال فهي مطلوبة منه فإنه ابن وقته فيحتاج أن يعلم حكم ما هو متلبس به من الأفعال، هل هو صواب أم خطأ؟.

وأما المستقبل فحاجته في الهداية أظهر ليكون سيره على الطريق، وإذا كان هذا شأن الهداية علم أن العبد أشد شيء اضطراراً إليها... ومن أحاط علماً بحقيقة الهداية وحاجة العبد إليها علم أن الذي لم يحصل له منها أضعاف ما حصل له وأنه كل وقت محتاج إلى هداية متجددة لاسيما والله تعالى خالق أفعال القلوب والجوارح فهو كل وقت محتاج أن يخلق الله له هداية خاصة ثم إن لم يصرف عنه الموانع والصوارف التي تمنع موجب الهداية وتصرفها ؛ لم ينتفع بالهداية ولم يتم مقصودها له فإن الحكم لا يكفي فيه وجود مقتضيه بل لا بد مع ذلك من عدم ما نعه ومنافيه ومعلوم أن وساوس العبد وخواطره وشهوات الغي في قلبه كل منها مانع وصول أثر الهداية إليه فإن لم يصرفها الله عنه لم يهتد هدى تاماً"[88].

13. خاتمة ونتائج

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه

أما بعد فبعد الرحلة مع هداية آية الهداية نخلص بفوائد جليلة منها:

1- حاجة الإنسان الملحة الدائمة للهداية إلى صراط الله أعظم من كل مراد و سؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر،

2- الهداية للصراط المستقيم تتضمن الهداية إلى أصل الإسلام وكذا الهداية للحق والصواب في كل قول وفعل

(88) مفتاح دار السعادة (83/1، 84)

3- الهداية أنواع ، فمنها: هداية الإنسان لما به قوام حياته ومعاشه كما قال تعالى { الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} ومنها: هداية الدلالة والدعوة والإرشاد كما قال تعالى {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} ومنها :هداية القلب لقبول الحق والعمل به والانقياد له وهذه لاتكون إلا لله كما قال تعالى{ إنك لا تهدي من أحببت}

4- مصدر الهداية الوحيد هو الله تعالى وحده، وهو _سبحانه_ يمنحها لمن بذل أسبابها { والذين اهتدوا زادهم هدى}وعكسه من أخذ بأسباب الغواية ضل وغوى.

5- "الصراط المستقيم" هو الطريق الواضح المستقيم الذي لا اعوجاج فيه موصل للمقصود واسع لسالكيه

6- تضمنت آية الهداية { اهدنا الصراط المستقيم } بيانه وعلاماته من حيث اسمه ووصفه بالمستقيم ثم جاء عقبها بيانه ببيان سالكيه ثم التحذير من سبل مخالفيه {غير المغضوب عليهم ولا الضالين}

7- الهداية هي صراط الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين {وحسن أولئك رفيقا } كما أن الغواية هي طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين

8-طلب المهتدي الهداية من ربه يتضمن معنيين عظيمين ، أحدهما : الثبات على الصراط المستقيم والآخر : الهداية للحق والصواب في كل قول وفعل

9- ينقسم الناس بالنسبة إلى الهداية ،ثلاثة أقسام في الجملة هي ، الأول: من علمها وسلكها ولزم مقتضاها ، الثاني: من علمها ووأعرض عنها ، الثالث: من جهلها وأعرض عن الوصول إليها وتعلمها فضلا عن العمل بها.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

ʿAbd al-Karīm bin ʿAbdullah bin ʿAbd al-Raḥman bin Ḥamd al-Khaḍīr. al-Taʿlīq ʿala Tafsīr al-Jalālain.

ʿAbd al-Raḥman bin ʾAbī Bakr, Jalāluddīn al-Sayūṭī. al-Dar al-Manthūr .

ʿAbd al-Raḥman bin Nāṣir bin ʿAbdullah al-Saʿadī. Taisīr al-Karīm al-Raḥman fī Tafsīr Kalām al-Manān .

ʿAbī ʿAbd al-Rāḥman ʾAḥmad bin Shuʿib bin ʿAlī al-Kharāsānī, al-Nisāʾī. al-Sunan al-Kubrā.

ʿAbī ʿAbd al-Raḥman Muḥamamd Nāṣir al-Dīn al-ʾAshqūdarī al-ʾAlbānī. Ṣaḥīḥ al-Jāmiʿ al-Saghīr wa Ziyādahih.

ʿAbī ʿAbdillah ʾAḥmad bin Muḥammad bin Ḥanbal al-Shaibānī . Musnad al-ʾImām ʾAḥmad bin Ḥanbal.

ʿAbī ʿAbdullah al-Ḥakim Muḥamamd bin ʿAbdullah bin Muḥammad al-Nisābūrī . al-Mustadrik ʿalā al-Ṣaḥiḥain.

ʿAbī ʿAbdullah Muḥammad bin Naṣr bin al-Ḥajjāj al-Marwazī. al-Sunnah.

ʿAbī ʿUthmān Saʿīd bin Manṣūr bin Shuʿbah al-Kharāsānī al-Jauzujānī. Sunan Saʿīd bin Manṣūr.

ʿAbī al-Laith Naṣr bin Muḥammad Bi ʾAḥmad bin ʾIbrāhīm al-Samarqandī. Baḥr al-ʿulūm.

ʿAbī al-Qāsim Hibahullah bin al-Ḥasan bin Manṣūr al-Ṭabrī al-Rāzī al-Lālikāʾī. Sharḥ ʾUsūl Iʿtiqād ʾAhl al-Sunnah wa al-Jamāʿah.

ʿAbī al-Qāsim Maḥmūd bin ʿAmrū bin ʾAḥmad, al-Zamakhsharī. al-Kahsāf ʿan Ḥaqāʾiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl.

ʿAbī Bakr ʾAḥmad bin ʿAmrū bin ʿAbd al-Khāliq bin Khallād bin ʿAbidullah al-ʿahakī al-Maʿrūf bi al-Bazzār. Musnad al-Bazzār. ʾAbī Muḥamamd ʿAbdullah bin ʿAbd al-Raḥman bin al-Faḍl bin Baharām bin ʿAbd al-Ṣaad al-Dārimī, al-Tamīmī al-Samarqandī. Musnad al-Dārimī.

ʿAbī Bakr Ibn ʾAbī ʿĀṣim wa Huwa ʾAḥmad bin ʿAmrū bin al-Dhuḥāk bin Mukhallid al-Shaibānī. al-Sunah.

ʿAbī Bakr Muḥammad bin al-Ḥusīn bin ʿAbdullah al-Ājurrī al-Baghdādī. al-Sharīʿah.

ʿAbī Dāwud Sulaimān bin Dāwud bin al-Jārūd al-Ṭayālasī al-Baṣrā. Musnad ʾAbī Dāwud al-Ṭayālasī.

ʿAbī Saʿīd al-Haitham bin Kalīb bin Sarīj bin Maʿqal al-Shāshī. al-Musnad.

ʿAbū al-Fidāʾ ʾIsmāʿīl bin ʿUmar bin Kahhīr al-Qarashī al-Baṣarī Thum al-Damshiqī. Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm.

Aḥmad bin ʿAlī bin Ḥajar ʾAbū al-Faḍl al-ʿAsqalānī al-Shāfiʿī. Fahḥ al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī.

Aḥmad bin al-Ḥusīn bin ʿAlī bin Mūsā al-Kharāsānī, ʾAbū Bakr al-Baihaqī. Shaʿab al-ʾĪmān.

Aḥmad bin Fāris bin Zakariyāʾal-Qazwīnī al-Rāzī, ʾAbū al-Ḥusīn. Muʿjam Maqāyīs al-Lughah.

al-ʾUstāz al-Duktūr Ḥikmah bin Bashīr bin Yāsīn. Mausūʿah al-Ṣaḥiḥ al-Masbūr min al-Tafsīr bi al-Maʾsūr.

al-Tamīmī, al-Ḥanẓalī, al-Rāzī Ibn ʾAbī Ḥahim. Tafsīr al-Qurʾān alʿAẓīm .

Ibn ʾAbī Ḥātim ʾAbī Muḥammad ʿAbd al-Raḥman bin Muḥammad bin ʾIdrīs bin al-Mundhir

Muḥammad al-’Amīn bin Muḥammad al-Mukhtār bin ‘Abd al-Qādir al-Shanqīṭī. ’Aḍwā’ al-Bayān fi ’Īḍāḥ al-Qur’ān bi al-Qur’ān.

Muḥammad al-Ṭāhir bin Muḥammad bin Muḥammad al-Ṭāhir bin ‘Āshūr al-Tūnisī. Taḥrīr al-Ma‘nā al-Sadīd wa Tanwīr al-‘Aql al-Jadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Majīd al-Mashhūr bi al-Taḥrīr wa al-Tanwīr .

Muḥammad Bin ‘Alī Bin Muḥammad Bin ‘Abdullah al-Shaukānī al-Yamanī. Fahḥ al-Qadīr.

Muḥammad bin ‘Īsā bin Saurah bin Mūsā bin al-Dhuḥāk, al-Timirdhī, ’Abū ‘Īsā. al-Jāmi .‘

Muḥammad bin ’Abī Bakr ’Ayūb bin Sa‘ad Shamsuddīn Ibn Qaim al-Jauziyah. Shifā’ al-‘Alīl fi Masā’il al-Qaḍā’ wa al-Qadr wa al-Ḥikmah wa al-Ta‘līl. Muḥammad bin Ḥibbān bin ’Aḥmad bin Ḥibbān bin Mu‘āz bin Ma‘bad, al-Tamīmī, ’Abū Ḥātim, al-Dārimī, al-Bustī. Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān (al-’Iḥsān fi Taqrīb Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān) .

Muḥammad bin ’Abī Bakr Bin ’Ayūb bin Sa‘ad Shamsuddīn Ibn Qaim al-Jauziyah . Zād al-Ma‘ād fi Hady Khair al-‘Ibād .

Muḥammad bin ’Abī Bakr bin ’Ayūb bin Sa‘ad Shamsuddīn Ibn Qayyim al-Jauziyah. al-Fawā’id .

Muḥammad bin ’Abī Bakr bin ’Ayūb bin Sa‘ad Shamsuddīn Ibn Qayyim al-Jauziyah . Madārij al-Sālikīn bain Manāzil ’Iyyāka Na‘budu wa ’Iyyaka Nasta‘īn .

Muḥammad bin ’Abī Bakr bin ’Ayūb bin Sa‘ad Shamsuddīn Ibn Qayyim al-Jauziyah. Miftāḥ Dār al-Sa‘ādah wa Manshūr Wilāyah wa al-’Irādah .

Muḥammad bin ’Ismā‘īl ’Abū ‘Abdillah al-Bukhārī al-Ja‘fi. al-Jāmi‘ al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min ’Umūr Rasūlullah wa Sunanih wa ’Ayyāmih al-Mashhūr bi ṣaḥīḥ al-Bukhārī.

Muḥammad bin Jarīr bin Yazīd bin Kahhīr bin Ghalib al-Āmalī, ’Abū Ja‘far al-Ṭabarī. Jāmi‘ al-Bayān fi Ta’wīl al-Qur’ān .

Muḥammad bin Ṣāli al-‘ahhimīn. Tafsīr al-Qur’ān al-Karīm .

Muslim bin al-Ḥajjaj ’Abū al-H=Ḥasan al-Qushairī al-Nisābūrī. al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Muhtaṣar bi Naql al-‘Adl ’ilā Rasūlullah .

Zainuddīn ‘Abd al-Raḥman bin ’Aḥmad bin Rajab bin al-Ḥasan , al-Salāmī, al-Baghdādī, Tham al-Damshiqī, al-Ḥanbalī . Rawā’i‘ al-tafsīr (al-Jāmi‘ li tafsīr al-’Imām Ibn Rajab al-Ḥanbalī) .